قراءة رينان لمشكلة الاتصال
عند ابن رشد

د. فتيحة فاطمي
جامعة منتوري –قسنطينة-

قدم رينان في كتابه ابن رشد والرشدية، قراءة جديدة لمشكلة الاتصال عند ابن رشد، باعتباره الشارح الأكبر لأرسطو، وذلك بضبط مفهوم العقل الفعال عنده وتحديد خصائصه، وتبيين مدى قرب مفهومه له من المفهوم الذي قصده أرسطو، ومن ثم إبراز كيفية الاتصال بالعقل الفعال، وهل هذا يؤدي إلى تعدد العقول وتكاثرها أم أن هذه الكثرة لا تؤثر على وحدة العقل الفعال؟ وكيف يكون هذا الاتصال، هل يكون عن طريق العلم أم عن طريق الزهد والتصوف؟ فإلى أي مدى وفق رينان في هذه القراءة؟

يرى رينان، أن نظرية ابن رشد في العقل البشري، هي مجرد شرح لما جاء في كتاب أرسطو في الجزء الثالث من كتاب النفس[1]، ذلك أن أرسطو يحدد مفهوم العقل بقوله." يوجد في أمر المعرفة عنصران مماثلان للهيولى والصورة،

[1] رينان: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: 1959، ص151.

أي يوجد مبدأ منفعل ومبدأ فاعل، وإن شئت فقل يوجد عقلان: الأول هيولاني أو منفعل والآخر صوري أو فعال، أي أن أحدهما قابل أن يكون جميع الأشياء بتصورها، وأن الآخر يجعل الأشياء محسوسة، ومن يفعل هو أعلى ممن يعاني ولذا فالعقل الفعال أعلى من العقل بالقوة، والعقل الفعال منفصلا لا يتأثر ولا يفنى، والعقل المنفعل هو على العكس فان، ولا يستطيع أن يستغني عن العقل الفعال، والواقع أن العقل الحقيقي هو العقل المنفصل، وهو الأزلي السرمدي وحده"[1].

فالمعرفة بهذا لا تحدث إلا نتيجة عمل العقل بالقوة والعقل الفعال، الأول يتقبل الصور الحسية والخيالات، من الأمور المادية الحسية، والثاني هو الذي يخرج هذه الصور من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ولذلك فهو أشرف من الأول، لأنه موجودا دائما بالفعل على خلاف الأول الموجود بالقوة، أي أنه أقل مرتبة منه، كما أن العقل الفعال منفصل تماما عن الهيولى، خالد أزلي أما العقل بالقوة فهو متصل بالهيولى، فان فاسد.

هذا إلى جانب أن العقل بالفعل سابق على العقل بالقوة، لأنه موجودا دائما بالفعل سواء عقلناه أم لم نعقله، أي أنه سابق حتى على عمل التصور، ومع ذلك فإن القوة في الفرد تسبق الفعل، ولذا فليس في الفرد ما يجب أن يُبْحَث عن العقل الفعال الذي يسبق في الزمن حتى عمل التصور[2]. ولذلك يقول أرسطو:"ويكون العقل ما هو بالحقيقة عندما يكون منفصلا فقط، لا عندما

---

[1] أرسطو: كتاب النفس، ترجمة وتقديم، أحمد فؤاد الأهواني، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1962، ص ص 1-3.

[2] رينان: ابن رشد والرشدية، ص136.

يتصور تارة، وعندما لا يتصور تارة أخرى"[1]، فحقيقة العقل الفعال عند أرسطو، تكمن في انفصاله تماما عن الهيولى، وأنه بالفعل دائما.

وعلى هذا فالعقل الفعال مستقل عن الأفراد غير شخصي مطلق، ومشترك بين جميع الأفراد، ولذلك يمكن "أن نقول إن العقل واحد لدى جميع الناس وأن نعلن ما يسميه ليبنيتز الوحدة النفسية"[2]، فالعقل الفعال هو الملكة الوحيدة المشتركة بين جميع الناس والتي توحد منطلقاتهم النفسية أو الفكرية.

هذا الفهم للعقل الفعال هو من وضع ابن رشد لا من وضع أرسطو، وهذا ما يقر به رينان ذاته، إذ يقول:" هذه هي النظرية الرشدية ولم يحدث أن تكلم أرسطو بوضوح حول هذه النقطة، ولكن يجب أن نعترف بأن ابن رشد وفلاسفة العرب حينما عزوا إليه هذه النظرية لم يفعلو غير استخراج النتيجة المباشرة من النظرية المفروضة في الجزء الثالث من كتاب النفس"[3].

فابن رشد في نظر رينان، لم يأت بجديد في تفسيره لمفهوم العقل الفعال عند أرسطو، ذلك أن قوله بأن العقل الفعال خالد أزلي ومستقل عن الأفراد من جهة ومشترك بين جميع الناس من جهة أخرى يعتبر نتيجة منطقية لما وضعه أرسطو ففي كتاب النفس، بدليل أنه يمكن البرهنة على ذلك بمقدمات[4] من الكتاب نفسه وهي:

- أن العقل يأتي من الخارج.
- أنه قابل للإنفصال عن الجسم أبدي عادم التأثر، إلهي.

---

[1] أرسطو: كتاب النفس، ص3.

[2] رينان: ابن رشد والرشدية، ص136.

[3] المصدر نفسه، ص136.

[4] المصدر نفسه: ص ص136-137.

- وأنه في النفس على حدة مستقل منفصل عن الفرد كانفصال الأزلي عن القابل للفساد.

ما يلاحظ على هذه المقدمات، أنها لم توضح كيف يكون العقل الفعال داخل النفس وخارجها في الوقت نفسه، وهذا ما تمكن ابن رشد من توضيحه وإضافته إلى مفهوم أرسطو للعقل الفعال، وبذلك فهو مجدد على خلاف ما اعتقده رينان سابقا.

فالعقل الفعال عند أرسطو -طبقا للمقدمات السابقة- عبارة عن نور إلهي ينير طريق الجميع، أي أنه أصبح كما يقول رينان:" من غير جنس النفس التي تعد دراستها من اختصاص عالم ما بعد الطبيعة لا من اختصاص العالم الطبيعي"[1]، وهذا ما جعل رينان يشبه هذه النظرية بنظرية مالبرانش، باعتبارها "ضرب من العقل غير الشخصي الذي ينير جميع الناس ويكون الكل به محسوسا، وهذا هو تفسير معظم شراح اليونان كالإسكندر الأفروديسي وثامستيوس وفيلون وجميع العرب بلا استثناء"[2].

ويعترف رينان أن هذا الفهم للعقل الفعال عند أرسطو غريب عن المنحى العام لفلسفته، إلا أنها ليست المرة الأولى التي أدخل فيها نبذا من مدارس قديمة إلى نظامه، من غير أن يكلف نفسه عناء التوفيق بينها وبين لمحاته الخاصة، وهو يذكر في الجزء الثالث من كتاب النفس أن كل ما اقتبسه في العقل كان من عند أنكساغوراس[3].

والذي حمل على عاتقه التوفيق بين نظامه وتلك الاقتباسات التي تختلف عن نظامه المشائي تماما هو ابن رشد، وهذا ما يقر به رينان نفسه، حيث يقول:"

---

[1] المصدر نفسه، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص137.

[3] المصدر نفسه، ص137.

وقد حُمِل على تفسير[...] في رسالة بارعة عرضت على كلية الآداب بباريس، فرئي فيها أن العقل الفعال عند أرسطو ليس سوى ملكة في النفس، ولذا لا يكون العقل المنفعل غير تقبل الصور والخيالات ولا يكون العقل الفعال غير استقراء حول الصور والخيالات واستخراج أفكار عامة منه"[1].

بهذا تمكن ابن رشد -في نظر رينان- من ضبط مفهوم أرسطو للعقل الفعال وتحديد مقصده، على أنه ملكة من ملكات النفس له فعلان: الفعل الأول يتمثل في تقبل الصور الحسية والخيالات أما فعله الثاني فيتمثل في استقراء تلك الصور والعمل على تجريدها بهدف الوصول إلى قضايا عامة تتضمن معنى كلي لا جزئي، يقول ابن رشد في ذلك:"... إن هذا العقل (الفعال) له فعلان: أحدهما من حيث هو مفارق وهو أن يعقل ذاته، على ما شأن العقول المفارقة أن تكون عليه من عقل ذواتها، وكون العاقل والمعقول منهما شيئا واحدا من كل جهة، والثاني أن يعقل المعقولات التي في العقل الهيولاني، أعني أن تصيرها من القوى إلى الفعل، وهذا العقل متصل بالإنسان، وهو كالصورة له، ولذلك يفعل به الإنسان متى شاء، أعني يعقل[2]"، وعليه فإذا كان العقل الهيولاني يقبل الصور الحسية والخيالات، فإن العقل الفعال يقوم باستقرائها بهدف تجريدها، واستنباط أحكام عامة منها.

ومنه يمكننا القول أن العقل المنفعل والعقل الفعال هما شيئا واحدا، كما يمكننا القول أن ابن رشد تمكن من التوفيق بين النظرية التي عرضت في الجزء الثالث من كتاب النفس ونظريات التلخيصات الثانية[3]، وعلى هذا الأساس

---

[1] المصدر نفسه، ص138.

[2] ابن رشد: مقالة هل يتصل بالعقل الهيولاني بالعقل الفعال وهو ملتبس بالجسم، ضمن تلخيص كتاب النفس لابن رشد، نشر وتحقيق وتقديم فؤاد الأهواني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1950، ص121.

[3] رينان: ابن رشد والرشدية، ص138.

يكون العقل الفعال داخل الإنسان لا خارجه، لأنه من المستحيل القول بأن العقل الفعال خارج الإنسان ويقوم بعمل الاستقراء ليصل إلى التعميم، وهذا ما يقره رينان بقوله:"وما التزم (أرسطو) تكراره من كون العقل هو المعقول بعينه، وأن العقل ينتقل إلى الفعل عندما يتحول إلى الموضوع الذي يفكر فيه، يصعب التوفيق بينه وبين الافتراض القائل بعقل منفصل عن الإنسان"[1].

وبهذا لا يمكن أن ننسب لأرسطو القول بعقل خارج الإنسان ، لأن ذلك يتناقض والقول بأن وظيفة العقل الفعال تتمثل في استقراء الصور الحسية للوصول إلى أحكام عامة. ولذلك يرى رينان، أنه لو قرأنا نظرية أرسطو في العقل قراءة معاصرة لانتهينا إلى القول بنظرية في المعرفة "مشابهة للنظرية التي نالت موافقة جميع ذوي النفوس الفلسفية منذ نصف قرن، وليس علينا إلا أن نحمل أرسطو على القول: لابد للعمل العقلي من أمرين:

1- انطباع من الخارج يتلقاه من العامل المفكر.

2- رد فعل من العامل المفكر حيال معطى الحس، ويمنح الحس هيولى الفكر والعقل أو العقل المحض يمنح الصورة"[2]، فنظرية أرسطو بهذا في العقل شبيهة بنظرية كانط في المعرفة، إذ يمدنا الحس بالصور الحسية، والعقل يمدنا بالمقولات، وباجتماعهما تحصل لدينا المعرفة، غير أنه لا يمكننا قراءة العقل الأرسطي بطريقة حديثة، لأن هذا قد يبعدنا عن حقيقة النظرية الأرسطية في العقل.

غير أن ابن رشد لم يتمكن من ضبط مفهوم العقل الفعال بهذه الدقة إلا حينما اعتبر العقل الهيولاني خالدا أزليا، شأنه في ذلك شأن العقل الفعال، وإن كان بذلك لم يكن أمينا في شرحه لنظرية العقل الأرسطية وهذا ما يعبر عنه

---

[1] المصدر نفسه، ص138.

[2] المصدر نفسه، ص139.

رينان بقوله:"... وفيما يتعلق بالعقل الهيولاني ما يصعب التفريق بين لغة ابن رشد ولغة شراح اليونان وفلاسفة العرب الآخرين، ولا ريب في أن الإسكندر الأفروديسي لم يقصد بإبداعه تعبير العقل الهيولاني غير الإشارة إلى العقل المنفعل الذي يبين الهيولى في أمر المعرفة، وترى العرب قد اتخذوا تعبير العقل الهيولاني أيضا ضمن معنى طاقة المعرفة، وعلى العكس يعرض ابن رشد العقل الهيولاني غير قابل للفساد غير موجد، واحدا قديما مشابها للعقل الفعال"[1].

بهذا يخرج ابن رشد عن مفهوم أرسطو والشراح للعقل الهيولاني في اعتباره خالد أزلي لا فان فاسد، وهو بذلك والعقل الفعال شيئا واحدا. لكن كيف يكون العقل الواحد هيولاني من جهة ومفارق من جهة أخرى؟ يقول ابن رشد كما ذكر المصباحي:" وهاهي الكيفية التي تحل بها المسألة (...) وهي كيف يكون العقل الهيولاني كائنا محددا، ولكنه ليس صورة مادية ولا مادة أولى، ذلك أنه يتعين اعتبار العقل الهيولاني كما لو كان جنسا رابعا من الوجود "[2]، فالعقل الهيولاني بهذا ليس هيولى، بالمفهوم العام للهيولى، وإنما هو نوعا آخر من الهيولى، فهو استعداد نفسي في حقيقته لا مادي، وهذا ما نتبينه أكثر في قول ابن رشد: " لما كان الاستعداد مما لا يفارق لزم أن يوجد في موضوع، وليس يمكن أن يكون هذا الموضوع جسما حسبما تبين من أن هذه المعقولات ليست هيولانية، بالوجه الذي به الصور الجسمانية هيولانية، ولا يمكن أن يكون عقلا أيضا، إذ كان ما هو بالقوة شيئا ما، فليس فيه شيء ما بالفعل مما هو قوي عليه، وإذا كان ذلك كذلك، فالموضوع لهذا الاستعداد ضرورة هو نفس"[3]، فالعقل

---

[1] المصدر نفسه، ص139.

[2] نقلا عن محمد المصباحي: إشكالية العقل عند ابن رشد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1988، ص43.

[3] ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، تحقيق فؤاد الأهواني، مصدر سابق، ص86.

الهيولاني على هذا الأساس مجرد استعداد نفسي لتقبل الصور الحسية والخيالات، ولذلك يقول رينان:" ... إن عمل العقل الأول ليس سوى نزوع إلى الصير، مشترك بين جميع الناس بجوهره ولكن مع تنوعه بالعرض"[1]، بهذا ليست طبيعة العقل الهيولاني " إلا طبيعة الاستعداد فقط أعني أن العقل الذي بالقوة هو استعداد فقط لا شيء يوجد فيه... "[2]. بمعنى أنه خال من أية صورة عقلية، فهو مجرد استعداد أو قابل لتقبل المعقولات، والموضوع " لهذا القبول ليس ينبغي أن يعتقد أنه شيء من الأشياء إلا استعداد فقط لقبول المعقولات، فأما أن يكون شيئا من الأشياء بالفعل قبل أن يستكمل بالمعقولات فلا. وهو كما يقول أرسطو شبيه بالاستعداد الموجود في اللوح لقبول الكتابة، يعني أنه كما أن ذلك الاستعداد الموجود في وجه اللوح المحفوظ ليس مخالطا للوح حتى يكون قبول اللوح الكتابة انفعال، كذلك الأمر في العقل مع المعقولات "[3].

فالعقل الهيولاني على هذا استعداد غير مخالط للمادة، مما يمكنه من اكتساب الصور العقلية، ولو كان مخالطا للمادة، ما تحقق له ذلك، لأنه سيتأثر لا محال بكل ما يخالط المادة من التغيرات السببية والفيزيائية.

فالعقل الهيولاني هو "شيء مركب من الاستعداد الموجود فينا ومن عقل متصل بهذا الاستعداد هو من جهة ما هو متصل به عقل مستعد لا عقل بالفعل، وهو عقل بالفعل من جهة ما ليس هو متصل بهذا الاستعداد، وهذا العقل هو بعينه العقل الفعال، الذي سيظهر وجوده بعد، وذلك أنه من حيث يتصل بهذا الاستعداد فيجب أن يكون عقلا بالقوة لا يمكنه أن يعقل ذاته ويمكنه أن يعقل

---

[1] رينان: ابن رشد والرشدية، ص151.

[2] ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، تحقيق وتعليق ألفرد.ل.عبري، المجلس الأعلى للثقافة، المكتبة العربية، د.ت، ص122.

[3] المصدر نفسه، 128.

غيره أعني الأشياء الهيولانية، وأما من جهة ما ليس يتصل به فيجب أن يكون عقلا بالفعل يعقل ذاته ولا يعقل ما هاهنا أعني أنه لا يعقل الأشياء الهيولانية"[1]، العقل الفعال بهذا لا يتصل بالعقل الهيولاني إذا كان مجرد استعداد، وإنما يتصل بالمعقولات النظرية، لأنه هو الفاعل لها و" المخلق لها، وهو المعطي للعقل الهيولاني المعنى الذي به يقبل المعقولات أعني أنه يعطي العقل الهيولاني شيئا يشبه الإشفاف من البصر... "[2]، أي أنه بمثابة النور للبصر، لأنه يعطي للعقل الهيولاني إمكانية اكتساب الصور الهيولانية.

وبهذا نتبين أنه " يوجد في النفس منا فعلان أحدها فعل المعقولات والآخر قبولها، فهو من جهة فعله للمعقولات يسمى فعالا، ومن جهة قبوله إياها يسمى منفعلا، وهو في نفسه شيئا واحدا"[3]، ومن هنا يمكننا التأكيد بأن العقل واحد عند ابن رشد، وإن كان له مظهران مختلفان لذات قائمة بنفسها[4]. ومادام الأمر كذلك فالعقل الهيولاني غير كائن ولا فاسد[5]، كما هو الحال مع العقل الفعال غير أن هذا لا يعني أن لهما مرتبة واحدة في الوجود، ذلك أنه لما كانت الحكمة الإلهية، والعدل الرباني، يقتضي ألا يبقى نوع من أنواع الموجودات ولا طور من أطوار الوجود إلا ويخرج إلى الفعل، وكان العقل الذي هو المعقولات بالقوة، طورا من أطوار الوجود الشريفة، وجب أن يخرج من القوة إلى الفعل ولكونه

---

[1] المصدر نفسه، ص ص 124-125.

[2] المصدر نفسه، ص129.

[3] المصدر نفسه، ص 125.

[4] محمود قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، 1969، ص262.

[5] محمد عابد الجابري: ابن رشد، سيرة وفكر (دراسة ونصوص)، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص203.

من جنس العقل، كان واجبا أن يخرجه إلى العقل شيء هو عقل بالفعل متقدم عليه بضروب الشرف والوجود، وهذا هو العقل الفعال[1].

وعلى هذا يعتبر العقل الهيولاني أقل مرتبة وشرفا من العقل الفعال، لأن الأول عقل بالقوة ومن ثم فهو قريب من المادة، أما الثاني فهو عقل بالفعل، ومن ثم فهو بعيد عن المادة وقريب من المبدأ الأول، فالأقرب " يملك أكبر قدرة من القوة أو المادة، والأبعد يكون أقرب من المبدأ الأول وأقل احتواء على المادة العاقلة "[2].

وما تجدر الملاحظة إليه أن ابن رشد حوّر في مذهب أرسطو حتى يتفق والشريعة الإسلامية، لأنه حسب مذهب أرسطو أن النفس صورة البدن، تفنى بفنائه، وهذا لا يتناسب والشريعة الإسلامية، مما دفعه إلى تحوير مفهوم النفس لديه (أرسطو) حيث جعلها جوهر روحاني محض خالد أزلي على خلاف البدن.

ولكن قول ابن رشد بأن العقل الفعال مشترك بين جميع الناس قد يدخله في مأزق فلسفي، ذلك أن"العقل إذا كان واحدا لدى جميع الناس كان على درجة واحدة عند الجميع، ولم يوجد شيء يتعلمه التلميذ من المعلم، ومتى شعر إنسان بمحسوس شعر به الجميع في عين الوقت الذي يحسه هذا الإنسان فيه، وخسر الأمر النفسي كل فردية، ولا يتألف كل نوع من غير فرد واحد..." [3]، وللخروج من هذا المأزق الفلسفي، لم يعتبر ابن رشد المعرفة مطلقة، وإنما نسبية تتغير بتغير المعطى الحسي، ومن ثم "يصيب ابن رشد إذ يجيب بأنه يجب على العقل الفعال، حين يتصل بموجود نسبي أن يخضع لشروط النسبية"[4].

---

[1] ابن رشد: مقالة هل يتصل بالعقل الهيولاني بالعقل الفعال وهو ملتبس بالجسم، مصدر سابق، ص124.

[2] محمد المصباحي: إشكالية العقل عند ابن رشد، ص59.

[3] رينان: ابن رشد والرشدية، ص152.

[4] المصدر نفسه، ص ص152-153.

وعلى هذا فإن اتصال العقل بالنفس الفردية، لا يؤدي أبدا إلى تكاثر العقل وتعدده، أو تحيد الأفراد، وإنما بفعل العقل في الصور المحسوسة، من حيث إخراجها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل[1]، ولذلك فمفهوم الاتصال عند ابن رشد –كما يحدده رينان– "ليس أمرا آخر غير اشتراك البشرية الأبدي في عدد من الأصول الأبدية مثلها، ولا تقلص هذه الأصول حين اتصالها بالموجود القابل للفساد، شيئا من قابليته للفساد، فهي مستقلة عن الأفراد"[2]، هذا يعني أن العقل الفعال عند ابن رشد، ليس أكثر من جملة المبادئ الثابتة الأزلية التي تحكم تفكير الفرد وهي خارجة عنه، وأن اتصالها بالفرد لا يعني إكسابه الأزلية بل يبقى قابلا للفساد.

وهكذا فإن العقل يكون واحدا ومتعددا معا[3]، لأن "المعقولات تختلف من جهة الكم إذا نظرنا إليها باعتبار الأشخاص الذين تتحقق فيهم، أي أنها تختلف من جهة تصورنا لها عن طريق الخيال ولكنها شيء واحد فقط إذا نظرنا إليها على اعتبار أنها صور عقلية محضة في ذهن من يستحضرها، أي أنها تبدو واحدة في العقل المادي الذي يتقبلها ولا يخلع عليها صور خيالية ما"[4]، فالعقل متعدد إذا اتصل بالصور الحسية والخيالات، وواحدا إذا بقي مفارقا لها.

ولهذا فإن مفهوم الاتصال عند ابن رشد يختلف عن مفهومه عند الصوفية، فعند هؤلاء لا نصل إلى درجة الاتصال بالعقل الفعال، إلا بالزهد والتصوف، والقيام ببعض الشطحات الصوفية وغيرها، فيكون العقل الفعال بمثابة نور إلهي، يخص بعض الناس فقط، يقول ابن رشد في ذلك:"أما السعداء فإذا اتصلوا

---

[1] المصدر نفسه، ص153.

[2] المصدر نفسه، ص153.

[3] المصدر نفسه، ص153.

[4] ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، تحقيق وتعليق سالبادور قوميث نوقاليس، المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مدريد، 1985، ص ص 117-118.

بالعقل الفعال، تبين أن هذا الاتصال ليس بكمال طبيعي، وإذا تؤمل كيف حال الإنسان في هذا الاتصال ظهر أنه من أعاجيب الطبيعة (...) وهي بالجملة موهبة إلهية (...) وهذه الحال من الاتحاد هي التي ترومها الصوفية"[1]، ويقول كذلك:" وأما القوة الثانية (العقل النظري) فيظهر من أمرها أنها إلهية جدا، وأنها توجد في بعض الناس، وهم المقصودون بالعناية في هذا النوع"[2]، معنى العقل الفعال هنا، أنه قوة إلهية أو نور إلهي يتمتع به بعض الناس، الذين هم أشد قربا من الله تعالى.

ويبدو أن ابن رشد كان يأخذ بهذا الرأي، ولكنه عدل عنه على الرغم من وجود هذه العبارة في مخطوطة مدريد التي تعبر عن مذهبه الأخير ولكنه لم يصححها[3]. وما يثبت أن ابن رشد تراجع عن موقفه السابق، أنه لم يعتمد العقل الفعال بمفهوم النور الإلهي الذي يفيض على بعض الناس بالحقائق المطلقة، وإنما اعتمده بمفهوم مبادئ العقل التي توحد بين كل البشر والتي تساعد في اكتساب المعرفة عن طريق العلم، ذلك أنه الطريق الوحيد بالنسبة له لبلوغ الكمال[4]، وهذا ما يعبر عنه رينان بقوله:"فنقطة النمو البشري العليا ليست سوى النقطة التي تبلغ ملكات الإنسان عندها إلى أقصى قوتها، ويوصل إلى الله عندما يخرق الإنسان بالتأمل حجاب الأمور ويجد نفسه مواجها للحق الأعلى ونسك الصوفية باطل لا طائل فيه..." [5]، ومنه فرينان يؤكد من خلال هذا النص، أنه

---

[1] فؤاد الأهواني: مقدمة تلخصي كتاب النفس لابن رشد، ص59.

[2] ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، تحقيق فؤاد الأهواني، مصدر سابق، ص69.

[3] فؤاد الأهواني: مقدمة تلخصي كتاب النفس لابن رشد، ص55.

[4] ابن رشد: مقالة هل يتصل بالعقل الهيولاني بالعقل الفعال وهو ملتبس بالجسم، مصدر سابق، ص124.

[5] رينان: ابن رشد والرشدية، ص156.

بالعلم فقط عند ابن رشد نتمكن من كشف الحقائق وإدراك كنهها ومن ثم بلوغ السعادة والكمال، ولا يمكن بلوغهما بالاعتماد على طرق الصوفية.

نستنتج من كل هذا، أن رينان تمكن من قراءة مشكلة الاتصال عند ابن رشد قراءة موضوعية، تتماشى ومنحاه الفكري، وإن كان غرض رينان من هذه القراءة، هو الاعتماد على فهم ابن رشد لحقيقة الاتصال بالعقل الفعال، لتحديد مقصد أرسطو منه ومن ثم دحض كل القراءات التي تتعارض وهذا الفهم، هذا إلى جانب توضيح وإكمال ما عجز أرسطو عن توضيحه وإكماله، فلولا ابن رشد ما تمكنا من معرفة حقيقة العقل الفعال عند أرسطو،على أنه داخل الإنسان لا خارجه، وأنه والعقل الهيولاني شيئا واحدا، وأن الاتصال بالعقل الفعال يكون عن طريق العلم فقط.